

سور الحلة
(٤٩٥هـ - ٥٥٨هـ / ١١٠١م - ١١٦٣م)
دراسة تاريخية تحليلية

*The Fortification of Hilla,
(495-558 A.H./1101-1163 A.D.)
Historical Study*

أ.م.د. سلام محمد علي الأسدي

Asst. Prof. Dr Salam Mohammed Ali Al- Asadi

ملخص البحث

تميّزت مدينة الحِلَّة بموقعها الجغرافي المهم، ففي الوقت الذي مثل النهر خطَّ الدفاع عن الجهة اليسرى لها، كان سورها خطَّ الدفاع عن جهتها اليمنى، فضلاً عن قربها من مدينة بابل الأثرية.

وقد حظيت مدينة الحِلَّة بالعديد من الدراسات، إلا أنّها أغفلت الجانب العمراني فيها، ولعلّ في مقدّمة ذلك (سور الحِلَّة) الذي أنشئ مع توسُّع الإمارة المزيديّة وتعاظمها وسيطرتها خلال حكم أميرها صدقة بن منصور بن يزيد الأسديّ (٤٧٩هـ - ٥٠١هـ)؛ لمواجهة الخلافة العبّاسيّة والتسلط السلجوقيّ عليها، ولحماية المدينة من قبائل البدو المحيطة بها، وتأمين طريق الحجّ المارّ على الديار المقدّسة.

حاولت الدراسة بيان أهميّة (سور الحِلَّة)، في الوقت الذي لم تُشر إليه كتب الرحلات العربيّة إلاّ إشارات عابرة، ممّا تطلّب الأمر الاعتماد على كتب الرحلات الأجنبيّة التي غطّت مساحة واسعة من الدراسة.

Abstract

The city of Hilla was characterized by its important geographic location. At the time the river represented the line of defense to its left, its fortification was the line of defense on its right side, as well as its proximity to the ancient city of Babylon.

The city of Hilla has received many studies, but it overlooked the urban aspect, and perhaps in the forefront of this (Sur Hilla), which was established with the expansion and increase and took control of the emirate more during the rule of her emir Bin Mansour bin Mazid al-Asadi 479-501 A.H, to confront the Abbasid Caliphate and Saljuki domination To protect the city from the surrounding Bedouin tribes, and to secure the pilgrimage route that passes through the Holy Land.

The study attempted to show the importance of the Surat al-Hilla, while the Arabic travel books did not mention any passing signs, so it was necessary to rely on foreign travel books that covered a large area of study.

مقدمة البحث

حظيت مدينة الحلة بدراسات تاريخية غطت مختلف عصورها منذ تأسيسها سنة (٤٩٥هـ - ١١٠١م)، وكانت عصورها الإسلامية الأكثر حظوة وإهتماماً من قبل الباحثين والمختصين، على العكس من عصورها الحديثة؛ لأسباب عديدة لا مجال لذكرها الآن، إلا أن معظم هذه الدراسات كانت ذات طابعٍ سياسيٍّ واقتصاديٍّ واجتماعيٍّ أكثر منه عمرانيٍّ، وهو مجال البحث فيه.

فالإمارة المزيديّة (٣٨٧-٥٥٨هـ / ٩٩٧-١١٦٢م) على الرغم مما شكّلته من قوّة ونفوذٍ سياسيٍّ؛ لتوسّعها من تكريت وعانة وحديثة شمالاً وغرباً إلى البصرة جنوباً، إلا أن الدراسات عن هذه الإمارة في الجانب العمرانيّ مازال محدوداً ويعتمد على مصادر ومراجع تاريخية قليلة، وحتىّ دراسة الدكتور عبد الجبار ناجي الموسومة (الأمارة المزيديّة (٣٨٧-٥٥٨هـ)) سنة ١٩٦٥م، وهي أوّل دراسة أكاديمية عن هذه الإمارة كرسالة (ماجستير) قدّمت إلى كليّة الآداب - جامعة بغداد، فإنّ الفصل الخامس منها والذي تناول الجوانب العمرانيّة لمدينة الحلة، فإنّه لا يشير إلى السور إلا إشارة طفيفة اعتماداً على ابن الجوزي وكتابه (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم).

كما لفت نظر الباحث افتقار هذه المدينة المهمّة للدراسات الأثريّة، على الرغم من قربها من مدينة بابل الأثريّة من قبل أهل المدينة والمتخصّصين بالأثار أنفسهم، مثل الدكتور طه باقر الذي خلت جهوده البحثية في مجال الأثار من الالتفات إلى الناحية

العمرائية لمدينة الحِلَّة، خوفاً من اتِّهامه بالطائفية بعد اتِّهامه بالشيوعية.

كما أنَّ المصادر العربيَّة، ومنها كتب الرحلات لابن جبير وابن بطُّوة لا تتضمَّن الكثير عن الحالة العمرائية أو غيرها لمدينة الحِلَّة، ولا نعرف الأسباب الحقيقيَّة لقلَّة معلومات رحلتهم عنها، كما أنَّها لا تخلو عن مغالطات وتحامل لا مبرر له على النسيج الاجتماعيِّ لها، كما فعل ابن بطُّوة.

ولكنَّ كتب الرحلات الأجنبيَّة استطاعت أن تعوِّض النقص في المادة التاريخيَّة العمرائية لمدينة الحِلَّة، وما أكَّدته من وجود سور الحِلَّة، وبيَّنت أسسه الرئيسيَّة حتَّى نهاية الحرب العالميَّة الأولى، وهو ما يهْمُننا في هذا البحث.

اعتمد الباحث على كتب الرحلات، مثل رحلة ابن جبير ورحلة الأب فيليب الكرملِّي المسماة (الرحلة الشريفة)، ومن المراجع العربيَّة المهمَّة التي أشار إليها الكتاب، كتاب (تاريخ الحِلَّة) لمؤلِّفه العلامة يوسف كركوش، وكتاب (الحِلَّة في مذكِّرات الرحَّالة والمستكشفين) لمؤلِّفه صلاح السعيد، وكتاب (الحِلَّة كما وصفها السواح الأجنبيون في العصر الحديث) لمؤلِّفه عليّ هادي عبَّاس المهداوي.

ومن الكتب الأجنبيَّة المترجمة إلى اللغة العربيَّة التي أفاد منها الباحث كثيراً هو كتاب (أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث) لمؤلِّفه ستيفن هميسلي لونكريك، في بيان أهمِّ التطورات التاريخيَّة التي مرَّت على العراق الحديث، والحروب المستمرة مع الوهابيين الذين أخذوا بمهاجمة مدن الفرات الأوسط المقدَّسة (كربلاء والنجف)، فضلاً على مدينة الحِلَّة، الأمر الذي تجلَّت معه أهميَّة السور.

فُسِّم البحث إلى ثلاثة محاور: أكَّد المحور الأوَّل على أهميَّة الموقع الجغرافيِّ وأثره في نشوء مدينة الحِلَّة وبناء سورها؛ لتوسُّطها مدن الفرات الأوسط، وقربها من مدينة

بغداد، إنَّ نهر الفرات كان مانعاً طبيعياً من جهة الشرق، فكان السور مستطيلاً مثل المدينة في جهة الغرب فقط.

أمَّا المحور الثاني فقد خصَّص لدراسة الجذور التاريخية لبناء وإنشاء سور الحِلَّة منذ سنة ٤٩٥ هـ، وهي السنة التي بنى فيها صدقة بن منصور الأسديّ مدينة الحِلَّة، مروراً بالتطورات التي مرَّت بها المدينة والتي أثَّرت على هدمه ومن ثم إعادة تأهيله وبنائه، وحتى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨ م).

أمَّا المحور الثالث فقد أكَّد على وجود السور طيلة القرنين الثامن والتاسع عشر الميلاديين وحتى الحرب العالميَّة الأولى سنة ١٩١٨ م، وأنَّه بحالة جيِّدة، والحقيقة أنَّ كتب الرحلات التي عاجلت النقص في بعض المعلومات المهمَّة عن السور، وأهميَّته في الدفاع عن مدينة الحِلَّة، طيلة القرن التاسع عشر بعد أن أصبح ملاذاً آمناً من هجمات الوهابيين، خاصَّةً بعد تعرُّض مدينتي النجف و كربلاء ومرآتهما المقدَّسة للتدنيس من قبل الوهابيين سنة (١٨٠١، و١٨٠٨، و١٨١٧)، وما أشبه اليوم بالبارحة، فالتاريخ يعيد نفسه ولكن بصورة متجدِّدة.

المحور الأول

أهمية الموقع الجغرافي لمدينة الحِجَّة

ساهمت مجموعة من العوامل الجغرافية والتاريخية في أساس نشوء المدن، ومدينة الحِجَّة واحدة منها، الموقع المركزي من الإقليم المنبسط ذي التربة الخصبة، ومرور نهر الفرات فيها الذي يوفر المياه لتلك الأراضي^(١)، مضافاً إليها اعتدال مناخها، الأمر الذي يعني وجود الأسس المادية للعملية الزراعية، كما أنّ توسُّط الحِجَّة بين البصرة والشام، وما بين بلاد فارس والمدن المقدّسة (النجف الأشرف و كربلاء) جعل منها محطة تجارية، فضلاً عن طريق الحجّ الذي يمرُّ فيها، فقد أكسبها أهمية كبيرة^(٢).

وتلفظ كلمة (حِجَّة) بكسر الحاء المهملة وتشديد اللام، ومعناها في اللغة (قوم حِجَّة)، أي قوم نزلوا وفيهم كثرة، و(الحِجْل) هو نقيض (الارتحال)^(٣)، واللفظ بكسر الحاء يقع على الموضع والزمان، والحِجَّة تعني (بيوت الناس)، فمجلس القوم ومجتمعهم؛ لأنهم (يحلُّونه)^(٤).

فكان للموقع الإستراتيجي المهمّ لمدينة الحِجَّة التي تقع على بُعد أربع وستين ميلاً إلى الجنوب الغربيّ من مدينة بغداد، وعلى بعد أربعين ميلاً إلى الشمال من الكوفة، ساعد على ازدهار تجارتها؛ إذ أصبحت محطة تجارية مهمّة في الطريق البرّي بين بغداد والكوفة^(٥).

وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾^(٦)، أي الموضع الذي

فيه نحره.

كما أشارت بعض المصادر التاريخية إلى موقع الحِلَّة، فمنها من أشار أنَّها «بأرض بابل على الفرات بين بغداد و الكوفة»^(٧)، ومنها من أشار أنَّها «موضع بقرب الفرات»^(٨).

وقد اتخذ الأمير صدفة بن مزيد الأسدي (٤٧٩-٥٠١هـ) مدينة (الجامعين) غربيَّ الفرات موضعاً له ولقيلته، وكان ذلك عام (٤٩٥هـ / ١١٠١م)؛ لبيتعد عن ملاحقة السلاجقة، الذي كان في صراع دائم معهم^(٩)، وَوَرَدَ أَنَّ الجامعين كانت منبراً صغيراً حولها رستاق عامر خصب جداً^(١٠).

واكتسب موقع الحِلَّة من بغداد أهمية خاصة؛ لأسباب سياسية وعسكرية، فهو لا يبعد سوى (٤٥) ميلاً عن بغداد، وبهذه الأهمية شَبَّهها أحد الرحَّالة الأجانب ببغداد الصغرى^(١١).

وكانت مدينة الحِلَّة عامرة بأسواقها وسعتها، وهي تعجُّ ببساتين النخيل وبيوتها المشيَّدة بالطابوق المجفَّف بالشمس^(١٢)، وكثيراً منها بني بطابوق بابل الذي استخدمه أهل الحِلَّة على نطاق واسع في بناء بيوتهم ومساجدهم وحوانيتهم^(١٣).

وكان اعتدال مناخها وعضوبة هوائها أحد أهمِّ العوامل التي ساعدت على تأسيسها فيما بعد^(١٤)، فقد وصف ابن جبير مدينة الحِلَّة في رحلته إليها قائلاً: «وهي مدينة كبيرة، عتيقة الوضع مستطيلة، لم يبقَ من سورها إلا حلقٌ من جدارٍ ترابيٍّ مستديرٍ بها، وهي على شطِّ الفرات يتَّصل بها من جانبها الشرقيِّ ويمتد بطولها، وهذه المدينة جميلة، جامعة لمرافق المدينة، الصناعات الضرورية، وهي قويَّة العمارة، كثيرة الخلق، متَّصلة حدائق النخيل داخلاً وخارجاً، فديارها بين حدائق النخيل، ألفينا بها جسراً عظيماً معقوداً على مراكب كبار، متَّصلاً من الشطِّ تحيط بها من جانبها سلاسل حديد كالأذرع المفتولة عظاماً

وفخامة، تربط إلى خشب مثبتة في كِلَا الشَّطَيْنِ، تدلُّ على عِظَمِ الاستطاعة والقدرة، أمر الخليفة بعقدِه على الفرات اهتمامًا بالحجاج... و نزلنا بشطَّ الفرات على مقدار فرسخ من البلد، وهذا النهر كاسمه فرات، هو أعذب المياه وأخفَّها، وهو نهر كبير زخار، تصعد فيه السفن وتنحدر، والطريق من الحِلَّة إلى بغداد أحسن طريق وأجملها، في بسائط من الأرض وعمائر تتَّصل بها القرى يميناً وشمالاً»^(١٥).

وقد زار ابن بطوطة الحِلَّة خلال الفترة التي عاش فيها شاعر الحِلَّة الكبير صفِّي الدين الحِلِّي، خلال رحلته إلى بلاد المشرق (١٣٠٤-١٣٣٧م)، ووصف مدينة الحِلَّة قائلاً: «وهي مدينة كبيرة مستطيلة مع الفرات، وهو يسر فيها، ولها أسواق حسنة جامعة للمرافق والصناعات، وهي كثيرة العمارة وحدائق النخيل المنتظمة داخلاً وخارجاً، ودورها بين الحدائق، ولها جسر عظيم معقود على مراكب متَّصلة منتظمة بين شطَّين، تحفُّ بها من جانبها سلاسل حديد مربوطة في كِلَا الشَّطَيْنِ إلى خشبة عظيمة مثبتة على الساحل»^(١٦).

المحور الثاني

إنشاء سور الحِلَّة ومراحل تطوره

أكدت أغلب الدراسات التاريخية على أنّ سور الحِلَّة تمّ إنشاؤه خلال عهد صدقة ابن منصور المزيديّ الأسديّ مؤسس مدينة الحِلَّة (ت ٥٠١هـ)^(١٧).

إذ بلغت الإمارة المزيديّة أوج قوّتها وعظمتها، بعد أن امتدّ سلطانها من تكريت شمالاً وعانة وحديثة غرباً إلى البصرة جنوباً، كما أنّ صراعها المستمرّ مع بقية القبائل ولاسيما الكوفة أوجد ضرورة بناء السور بعد سعي الإمارة المزيديّة لأن تكون محور الجهود العربيّة للتصدّي للنفوذ الأجنبيّ السلجوقيّ آنذاك، والذي دفع صدقة حياته ثمناً لذلك^(١٨)، بعد معركة كبيرة سنة (٥٠١هـ / ١٠٨٥م) بالقرب من النعمانيّة، خاضها مع الجيش السلجوقيّ المدعوم من بعض الأطراف المحليّة كحاكم المتفك ابن معروف، وقبيلة خفاجة جنوب الحِلَّة^(١٩)، وذكر ياقوت الحمويّ في كتابه (معجم البلدان) بأنّ «الحِلَّة كانت (أجمة تأوي إليها السّباع)، فنزل بها بأهله وعساكره، وبنى فيها المساكن الجليلة والدور الفاخرة، وتأنّق أصحابه في مثل ذلك، فصارت ملجأً، وقد قصدتها التجار فصارت أفخر بلاد العراق وأحسنها مدّة حياة سيف الدولة صدقة»^(٢٠).

وذكر ابن جبير أنّ لها سوراً، إلّا أنّه لم يبقَ منه خلال زيارته لها في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي «غير حلقٍ من جدارٍ ترايٍّ مستدير»^(٢١).

وعن سكان مدينة الحِلَّة، فقد أورد الأب فيليب الكرملّي إشارة ترجع إلى سنة

١٦٢٩م عند زيارته للمدينة، فذكر «أنهم ينحدرون من قبائل عربية معروفة، ويعاملون الضيف بما عُرِف عنهم من لطفٍ وكرمٍ عربيٍّ، إنَّ غالبيَّتهم من المسلمين، ولكن هناك عددًا من المسلمين والأرمن واليعاقية والنساطرة»^(٢٢).

وقد أشار الكرملِي إلى السور قائلاً: «إنَّه لم يكن متينًا، وقد بناه صدقة عندما عمَّر الحِلَّة، فكان موضع الحِلَّة قديمًا (أجمة تأوي إليها السباع)، إلا أنَّ سكن بني مزيد بالجامعين وتعميرهم الحِلَّة حوَّها حتَّى أصبحت مدينة كبيرة فيها مساكن جميلة وفاخرة»^(٢٣)، ووصف الكرملِي مدينة الحِلَّة قائلاً: «بأنَّها مدينة كبيرة محاطة بأسوار من طين، تمتدُّ من شاطئ النهر، وبها جسر من قوارب كبيرة مصفوفة ومربوطة بالسلاسل إلى الشاطئ، وفيها أسواق عامرة وبساتين غنَّاء وأكثر الدور بناؤها من الطين وجدوع النخيل، إلا أنَّ فيها دُورًا بُنيت بطابوق بابل من خلال النقوش القديمة عليها، ومناخها معتدل وهوؤها لطيف، وإلى الشمال منها تقع أطلال بابل العظيمة التي ذكرها التوراة وإلى جانبها برج النمرود»^(٢٤).

والمعروف أنَّ أصل الجامعين قرية صغيرة نمت حول الجامع الجديد الذي تأسَّس فيها، وأنَّ الأمير صدقة قد جدَّد وعمَّر الدور والمباني فيها، فصارت المدينة تحتوي على الدور الفاخرة والمساكن الجميلة، وابتنى لها سورًا يحيط بها، والذي يبدو أنَّه قد خرب كما ذكر ابن جبير في رحلته^(٢٥).

واستحدث صدقة فيها الأسواق، وكانت حافلة بالبيع والشراء، ولعلَّ من الصحيح أنَّ المدينة قسِّمت إلى محلات، بعضها اتخذ اسم الجماعات أو الأقوام التي قطنتها، كمحلَّة الأكراد؛ وذلك لأنَّ المزيديون استخدموا الأكراد والتركيان في جيوشهم كجنود؛ ولأنَّهم كانوا من قادة الجيش، وهذا يفسِّر انتصاراتهم المتلاحقة على أعدائهم^(٢٦).

والمهم أن دور مدينة الحلة قد تجاوزت كونها مستقراً لبني مزيد وعاصمتهم الإدارية، فتطوّرت إلى محطة تجارية في الطريق البرّي بين بغداد والكوفة، ونضاعت هذه حينها صار طريق الحجاج يمرُّ بها سنوياً قبل التوجُّه إلى مكة، لذلك قصدتها الناس، فوصفت بكثافة سكّانها^(٢٧).

إلا أن تعاطف دور مدينة الحلة أيام الإمارة المزيديّة تزامن مع ضعف دور السلاطين السلاجقة في الحياة السياسيّة في العراق؛ لانتقال الخلافة العبّاسيّة من المقتفي بالله (٥٣٠-٥٥٠هـ / ١١٣٥-١١٦٠م) إلى ولده المستنجد بالله (٥٥٥-٥٧٥هـ / ١١٦٠-١١٨٠م)، الذي شهدته خلافته تحولات مهمّة، ففي عهده ازداد نفوذ أمراء عسكر المالك الذين استعانوا بابن معروف (مقدّم المنتفك) على أن يسلموه بطائح بني أسد بعد أن سخّر جميع القوّات العسكريّة في عمليّة سدّ مسالك الأنهار التي كانت تغذي البطائح، وتحويل المياه إلى جهات أخرى، وبعد حصار شديد، شنّ العسكر المملوكيّ من بغداد هجوماً عاماً، بعد أن أرسل الخليفة العبّاسيّ المستنجد بالله (٥٥٥-٥٧٥هـ / ١١٦٠-١١٨٠م) توبيخاً للقائد المملوكيّ السابق (يزدن بن قهاج) سنة (٥٥٥هـ / ١١٦٠م) بأنّه كان يهادن بني أسد؛ لأنّه شيعي وإثمهم شيعة^(٢٨).

ولكن بالحقيقة أن الأمر ليس كذلك؛ لأنّ القائد العسكري (يزدن بن قهاج) كان يخشى موسم الفيضانات التي يمكن أن تجرف مياهها ما أقيم من سدود، واحتمال تعرّض عسكره وقوات القبائل الساندة له للغرق، والفرار الذي تركه حكّام السلاجقة ورجلهم في مواقع السلطة، وفي سنة (٥٥٦هـ / ١٢٥٨م) منع أمراء المالك عن العشائر العراقيّة رسومهم من الطعام والتمر، الأمر الذي دعاهم للاحتجاج، وكانت غالبيّتهم من عشيرة خفاجة، غير أن أمراء العسكر جاهاوا رجال العشائر بقوّة السلاح^(٢٩)، ولمّا كانت إمارة بني أسد هي المحور والقاعدة التي يمكن أن تتجمّع حولها تلك العشائر،

قرّر المالك شنّ حملة شاملة لتدمير تلك القاعدة، وسحق بني أسد واقتلاعهم من أرضهم وتشتيت شملهم، وفي سنة (٥٥٨هـ/١١٦٢م) أكمل عسكر بغداد استعداداتهم لتلك الحرب، وخرج جيش المالك بقيادة يزيد بن قهاج وسار نحو الحِلَّة؛ للقضاء على بني أسد وأمارتهم فيها، وتعرّض جيش الإمارة المزيديّة لكارثة كان يصعب التكهّن بنتائجها، وأخيراً تمكّن الجيش القادم من بغداد من التوغل داخل بطائح بني أسد؛ إذ باسروا بقتل من وجدوه هناك، وهكذا تعرّض رجال بني أسد إلى مذبحه وحشية ذهب ضحيتها الآف الناس^(٣٠).

وكانت هذه أوّل عملية لتهديم سور الحِلَّة من قبل الخلافة العبّاسيّة، والغريب في الأمر أنّ ابن جبير أوّل رحّالة عربي زار الحِلَّة سنة (٥٨٠هـ/١١٨٤م) ولم يشر إلى حجم الدمار الذي حلّ بالمدينة بقدر إشارته البسيطة إلى أنّه لم يبق من السور سوى حلقة^(٣١)، ولكنه أشار إلى جسر الحِلَّة، وهو أوّل جسر تمّ إنشاؤه خلال الخلافة العبّاسيّة على نهر الفرات من مجموعة قوارب يصل عددها (٢٩) قارب^(٣٢)، والحِلَّة كما وصفها ابن جبير تقع بالقرب من موقع الجامعين، فهي تقع غربي الفرات، وبالقرب من بابل ومقابلة لها، ويمرُّ بها الطريق التجاريّ وطريق الحجّاج من بغداد إلى الكوفة^(٣٣)، كما حدّد ابن الجبير موضع مدينة الحِلَّة على الضفة اليمنى من شط الحِلَّة دون الضفة اليسرى، أي إنّ حدّد موضعها على الجانب الغربيّ فقط من شطّ الحِلَّة^(٣٤)، «والطريق من الحِلَّة إلى بغداد أحسن طريق وأجملها في بساط الأرض، وعمائر تتصل بها القرى يميناً وشمالاً... الخ»^(٣٥).

وقد أيّد الدكتور عبّاس إبراهيم حمّادي الجبوريّ ما جاء برحلة ابن جبير من أنّ سور الحِلَّة لم يبق منه سوى حلقة، فإنّه أرجع ذلك إلى بنيانه من الطين، مستنداً إلى الأبيات الشعرية التي أوردتها الشاعر الحليّ صفّي الدين الحليّ (٧٥٠هـ/١٣٤٩م)، أي بعد وفاة ابن جبير بحوالي ١٥٠ سنة تقريباً، والتي تدلّ على أنّ سور الحِلَّة كان مبنياً من

الطين^(٣٦)، وفي الوقت الذي أكدت معظم الدراسات أن السور بني - كما بُنيت الحِلَّة - بطابوق تمَّ جلبه من بابل أيام صدقة بن يزيد الأسدي^(٣٧).

ما حِلَّة ابن دبيس إلا كحصن حصين
 للقلب فيه قرار وقرة للعيون
 إن أصبح الماء غورًا جاءت بهاء معين
 وحوها سور طين كأنه طور سين^(٣٨)
 إن هذه الأبيات أكدت على أن السور موجود قبل أن يتهدم، ولم يبق منه سوى حلقة.

وفي عهد الوالي داود باشا والي بغداد العثماني (١٨١٧-١٨٣١ م)، ورد إلى الحِلَّة السيد محمد ابن السيد أحمد الحسيني، وهو إيراني الجنسية وموظفًا في المقيمية البريطانية في بغداد، قام بجولة في ربوع العراق، وكتب رحلة فيما شاهده في جولته قائلاً: «ومن الاسكندرية إلى الحِلَّة ثماني فراسخ، وفي الطريق خانات، والحِلَّة بلدة قديمة وجميلة جدًا، ولها جسر في جانبي الفرات، وإنَّ بابل في الجانب الشرقي من الحِلَّة، وإنَّ وصفها مشهور ومعلوم، وفيها البساتين الكثيرة من النخيل، وبيوتها ثمانية آلاف بيت، وأهلها سنة وشيعة، وفيها مئة بيت من اليهود، وإنَّ أهل تلك الأطراف شجعان يكرمون الغريب»^(٣٩).

أمَّا ابن بطوطة فقد زار الحِلَّة خلال رحلته (١٣٠٤-١٣٣٧ م)، وإنَّ أوَّل الملاحظات المهمة على رحلته إلى الحِلَّة، أنه أكَّد على أن مدينة الحِلَّة كانت مستطيلة، ولكنه لم يذكر هل فيها سور، كما أكَّد الشاعر صفِّي الدين الحلي، وهما عاشا في فترة متقاربة ومعاصرة تقريبًا، وأشار إلى أن أهل المدينة شيعة إمامية في الوقت الذي يسكن الحِلَّة اليهود والمسيحيين الأرمن بدرجة أقل^(٤٠).

المحور الثالث

سور الحِلَّة في كتب الرحلات الأجنبية

لا تذكر المصادر العربية تفصيلات كثيرة عن سور الحِلَّة^(٤١)، بل إن دراسات الباحثين والمؤرخين الكبار من أهل الحِلَّة لم تصف السور أثرًا طيلة مدّة القرن الماضي، وعلى رأسهم مدير الآثار العام الأسبق طه باقر، وهو من مواليد مدينة الحِلَّة/ محلة الطاق سنة ١٩١٢، ولا نفهم سببًا واضحًا لذلك سوى المضايقات التي تعرّض لها هؤلاء العلماء والآثريين، والخوف من الوصف بالبُعد الطائفي، فضلًا عمَّا نُسب لبعضهم من تهم باطلة بالانتماء للحزب الشيوعي^(٤٢).

يبدُ أن كتب الرحلات الأجنبية قد ساهمت بملء الفراغ من خلال ذكرها ووصفها لمدينة الحِلَّة، فقد زار الحِلَّة الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي الأندلسي في عهد الخليفة العبّاسي المقتفي بالله (ت ٥٥٥هـ)، وعلى الرغم من عدم إشارته إلى السور، بل اهتمّ بالاطّلاع على (خرائب بابل) ومرقد النبي حرقيال في الكفل، إلّا أنّه أشار إلى اليهود الموجودين في الحِلَّة، والحريّة التي كانوا يتمتعون بها عند ممارسة شعائرهم الدينيّة، فوصف ذلك قائلاً: «الحِلَّة وفيها عشرة آلاف يهوديٍ عندهم أربعة كنائس، أوّلها كنيسة (الربى مثير) وفيها قبره، والثانية كنيسة (الربى زعيري بار حامة) وفيها قبره أيضًا، ويقوم اليهودي فريضة الصلاة في هذه الكنائس يوميًا»^(٤٣).

أمّا الرحالة بارسنز (Parsnaz. A)، فقد زار مدينة الحِلَّة سنة ١٧٧٤م، وكتب كتابه

(رحلات في آسيا وأفريقيا) الذي نشره سنة ١٨٨١ م في لندن، عنها قائلًا: «إنَّ مدينة الحِلَّةَ توازي مدينة بغداد حتَّى سُمِّيت ببغداد الصغرى، ولها أبواب هي باب بغداد في شمال المدينة، وتقود إلى الطريق البرِّي بين بغداد والحِلَّة، وباب كربلاء إلى الشمال الغربي (باب الحسين)، وباب الطهامة في غربها، وباب النجف إلى جنوبها (باب المشهد)، وقد عُرِفَت هذه الأبواب بأسماء المدن أو المناطق التي تتَّجه نحوها»^(٤٤).

ويضيف بارسنز قائلًا: «إنَّ عدد سكَّان الحِلَّة في عام ١٧٧٤ كان يزيد عن ثلاثين ألف نسمة، أغلبهم يمتحن الزراعة، بينما يمارس عدد كبير منهم أعمالًا تجارية، ممَّا يجعلنا نميل إلى الاعتقاد أنَّ الأحوال العامَّة التي عاشتها الحِلَّة آنذاك كانت مزدهرة، كما أنَّ دائرة الجمارك تستوفي رسومًا بنسبة معيَّنة للطنِّ الواحد»^(٤٥).

وأشار بارسنز قائلًا: «الحِلَّة لم تكن بالقلعة، غير أنَّها محاطة بالأسوار، فيها بوابتين، أحدهما بالقرب من النهر، وتؤدِّي إلى الشارع الرئيسي، أمَّا البوابة الأخرى فتقع عند مدخل المدينة»^(٤٦).

وتحدَّث بارسنز عن جسر القوارب في الحِلَّة قائلًا: «بأنَّه شبيه بالجسور التي شاهدها في بغداد، وأنَّه يتألَّف من (٢٩) قاربًا ثبَّت أحدهما بالآخر بسلاسل منفردة عرضه ٨ أقدام، وقد فُرِشت أرضيَّته بالقشِّ بدلًا من الرمل والحصى، نهايته محاطة بسور، وتوجد بوابة عند كلِّ نهاية، يبلغ عمق مياه النهر تحت الجسر حوالي ٥٠ قدمًا، لقد شعرنا بالسرور ونحن نسير على الجسر، حيث تنساب المياه الرفراقة، غير أنَّ الحركة والمرور على هذا الجسر تتوقَّف بعد غروب الشمس»^(٤٧).

أمَّا الرحالة الفرنسي أوليفيه فقد زار مدينة الحِلَّة سنة ١٧٩٤ م، وأشار إلى وجود السور فيها قائلًا: «إنَّ الحِلَّة محاطة بسور في القسمين الشرقي والغربي؛ لتأمين الحماية

للمدينة، والدفاع عنها ضدّ الاعتداءات الخارجيّة^(٤٨)، في إشارة منه إلى الهجمات الوهابية من جهة الصحراء، والتي نشطت آنذاك بعد تأسيس الدولة السعودية الأولى سنة ١٧٥٤م، والتي أخذت بعد ذلك بتهديد المدن العراقية عبر الهجمات المتلاحقة عند مطلع القرن التاسع عشر؛ إذ تعرّضت مدينة كربلاء إلى الغزو الوهابي سنة ١٨٠١ و١٨٠٣ و١٨٠٧م، وكان حاكمها الوالي عمر باشا قد ترك المدينة وهرب إلى الصحراء، والذي ربّما كان متواطئاً مع الوهابيين بذلك، في الوقت الذي تعرّضت مدينة النجف إلى الغزو الوهابي سنة ١٨٠٨م، إلاّ أنّه فشل بفضل صمود أهل المدينة^(٤٩).

وأوضح الرّحالة البريطانيّ جيمس بكنغهام الذي زار الحِلَّة سنة ١٨١٦م: «أنّ سوراً مزرياً من الطين كان يحيط بالحِلَّة من جهة الغرب في سنة ١٨١٦م، وقد أقيم على سفح منحدر يوجد على امتداده عدد من الأبراج تستخدم لصدّ غارات الصحراء»^(٥٠)، والحقيقة بأنّه كان مزرياً غير دقيق؛ لأنّه كان مبنياً من الطابوق والجصّ، وليس مادّة الطين (غير مفخور)، وليس من الصواب أن يُترك سور الحِلَّة بوضع مزرٍ من أكثر الجهات خطراً، وهي جهة الصحراء، وخاصّة أنّ الحِلَّة تعدّ منطقة دفاعية متقدّمة بالنسبة إلى بغداد، وباعتبارها مركز تحشّد للقوات العثمانيّة التي تُرسل لصدّ الهجمات المسلّحة عن مدن العراق بأنّجاه الصحراء، أو للقوات العثمانيّة التي تُرسل للقضاء على تمرّد القبائل والعشائر في منطقة الفرات الأوسط ضدّ السلطات العثمانيّة^(٥١).

تحدّث الرّحالة البريطانيّ بوتر (Porter) الذي زار الحِلَّة سنة ١٨١٨م: «إنّ في الحِلَّة سوراً أصلحه باشا بغداد، وإنّ باشوات بغداد قد أولوا سور الحِلَّة عناية خاصّة وكبيرة، وأنّه يحيط بالمدينة سور جيّد البناء، فيه عدّة أبواب تُعرف بأسماء المناطق والأماكن المتّجهة نحوها، فهناك بوابة من جهة الغرب تسمّى (باب الطهازيّة)، وأخرى بأنّجاه بغداد من الشمال، أضافةً إلى بوابتين أحدهما تُعرف بـ(باب الحسين) بأنّجاه مدينة

كربلاء، والأخرى (باب المشهد) باتجاه النجف من الجنوب، وتمّ إحاطة المدينة بخندق كبير، جيّد الترتيب من جهة الصحراء، يشرف عليه عدد من الأبراج المبنية من الطابوق؛ إذ تستخدم للحراسة والمراقبة، وكان شطُّ الحِلَّة يمثّل مانعاً طبيعياً يعزز من دفاعات المدينة»^(٥٢).

أمّا الرخالة والآثاريّ الإنكليزيّ جيمس ريموند ولستيد فقد كتب في كتابه (رحلتي إلى بغداد) سنة ١٨٣٩م عن زيارته لمدينة الحِلَّة قائلاً: «وصلت بعد أيام إلى الحِلَّة التي تعتبر بعد بغداد والبصرة أكبر مدينة في الباشوية، حيث تدلُّ الجوامع الحسنة البناء والأسواق الواسعة على ثرائها، وهناك سور واطىء أُقيم على سطح مائل تحيط به الأبراج إلى امتداد القمّة، وتطوّقه حصون تنطلق منها المدفعية لحماية المدينة من هجمات البدو»^(٥٣).

وكدلالة على رخاء المدينة اقتصادياً، أضاف قائلاً: «أسعار الفواكه والحبوب ومواد المعيشة الأخرى رخيصة في هذه البلاد، وتكون القوارب الوافدة من الموانئ الشمالية للجزيرة محمّلة بالرزّ عادةً، أمّا التي ترد من (ملوم) والبصرة فإنّها تحمل التمور والأسماك والقهوة وغيرها»^(٥٤).

وفي عهد الوالي داوود باشا (١٨١٧-١٨٣١م) ورد إلى الحِلَّة السيّد محمّد ابن السيّد أحمد الحسيني، وهو إيرانيّ الجنسية في المقيمية البريطانية في بغداد، فقام بجولة في ربوع العراق وكتب رحلته في شاهد جولته قائلاً: «ومن الإسكندرية إلى الحِلَّة ثماني فراسخ، وفي الطريق خانات، والحِلَّة بلدة قديمة جميلة، ولها جسرٌ في جانبيّ الفرات، وأنّ بابل في الجانب الشرقي من الحِلَّة، وأنّ وصفها مشهور ومعلوم، وفيها البساتين الكثيرة من النخيل، وبيوتها ثمانية آلاف بيت»^(٥٥).

أما الرَّحالة آلوي الذي شاهد سور الحِلَّة سنة ١٨٣٨م، فقد وصفه قائلاً: «إنَّ سور الحِلَّة من الأسوار الجيدة التي شاهدها، به خندق كبير، وإنَّ السور والخندق قد يؤمَّنان حماية جيِّدة من الاعتداءات الخارجية، وتمَّ نقل الطابوق من بابل القديمة، حيث شيَّد السور وأبوابه وأبراجه»^(٥٦).

أمَّا الرَّحالة برج فقد وصف حالة السور في تسعينيات القرن التاسع عشر بأنَّ حالته جيِّدة، مبيِّناً أنَّ «الأبواب والأبراج قد شيِّدت بالطابوق القديم، ويبدو اهتمام العثمانيين بالخندق من جهة الصحراء فحسب، وهو أنَّ شطَّ الحِلَّة كان يمثل مانعاً طبيعياً يعزِّز دفاعات المدينة من الجهات الأخرى»^(٥٧).

الخاتمة

توصّلت الدراسة للعديد من الاستنتاجات، أهمّها:

١. إنّ لطبيعة الموقع الجغرافي لمدينة الحِلَّة أثرٌ واضحٌ في طبيعة التخطيط العمرانيّ للمدينة ذاتها على شكل مستطيل، الأمر الذي جعل سورها بهذا الشكل؛ لأنّ نهر الفرات في جهته الشرقيّة كان يشكّل مانعاً طبيعياً من الاعتداءات والغارات التي تعرّضت لها المدينة، الأمر الذي جعل السور للجانب الغربيّ فقط ومستطيل الشكل.

٢. أوضحت هذه الدراسة التطوّر التاريخيّ لبناء سور الحِلَّة منذ عهد صدقة بن منصور الأسديّ سنة (٤٩٥هـ / ١١٠١م) باني المدينة ومؤسّسها، واستمراره حتّى الحرب العالميّة الأولى (١٩١٤-١٩١٨م)، وكان لقيام الحركة الوهابيّة وتأسيس الدولة السعوديّة الأولى سنة ١٧٤٥ منعطفاً تاريخياً في زيادة الاهتمام بالسور وتجديده بصورة مستمرة، بعد أن تعرّضت المدن المقدّسة (النجف الأشرف و كربلاء) فضلاً عن بادية السماوة إلى هجمات متكرّرة من قبل الوهابيين؛ لأسباب طائفية اعتباراً من سنة ١٨٠٠، ولكن السور تعرّض إلى الهدم في أثناء الحرب العالميّة الأولى سنة ١٩١٧ بعد احتلال المدينة من قبل البريطانيين بعد تجربتهم المريعة في الكوت وحصار الألمان لهم، فكان هدم السور خوفاً من تكرار المأساة بالنسبة لهم، ولحرمان المدينة من أهمّ وسائلها الدفاعيّة، بعد أن وجدت بريطانيا أنّ أهالي الحِلَّة رفضوا احتلال مدينتهم قبل ذلك من قبل

الأتراك، على الرغم ممَّا حلَّ بهم في دكة عاكف الأوَّل سنة ١٩١٥، والثانية سنة ١٩١٦، وتنكيلهم بأهالي المدينة، فقد استمرَّ أهالي الحِلَّة في رفضهم للاحتلال البريطاني في الوقت الذي واجهت فيه بريطانيا صعوبة كبيرة في إخضاع المدينة لسيطرتها بعد أن تكبَّدت خسائر كبيرة وفادحة في معارك سابقة.

٣. كانت رحلة ابن جبير إلى مدينة الحِلَّة رحلة عابرة، وإنَّ إشارته عن السور كانت محدودة، كما أنَّه لم يُبشِّر إلى أسباب هدم السور الذي قام بإنشائه صدقة بن منصور الأسدي سنة (٤٩٥هـ/١١٠١م) بعد هجوم جيش الخليفة المستنجد بالله العباسي (٥٥٥-٥٧٥هـ/١١٦٠-١١٨٠م)، وعلى الرغم من تهديم السور سنة (٥٥٨هـ/١١٦٢م)، وإنَّ رحلة ابن جبير كانت سنة (٥٨٠هـ/١١٨٥م)، إلَّا أنَّه لم يُبشِّر إلى أسباب هدمه أوَّلًا، أو بيان أسسه الرئيسة التي أعاد بناءها الوالي المملوكي على بغداد سليمان الكبير (١٧٧٨-١٨٠٧م)، وبعدها بقي السور إلى سنة ١٩١٧م عند اندلاع الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م).

٤. لم تُبشِّر الكتب والمصادر العربية إلى بناء السور، إلَّا أنَّ كتب الرحلات الأجنبية للعراق خلال القرن التاسع عشر عاجلت النقص الذي عانت منه هذه المصادر أوَّلًا، لمَّا أشارت إلى أنَّ حالة السور كانت جيدة، وأنَّ بناءه بالطابوق، الأمر الذي جعل السور يبقى حتَّى قيام الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م)، على عكس ما ذكرته المصادر والكتب العربية من أنَّ السور مبنيٌّ من الطين، وأنَّه كان مهدمًا، كما وصفه ابن جبير في رحلته.

٥. هناك إهمال واضح في جانب الدراسات الأثرية لإنشاء مدينة الحِلَّة سواء في الجانب الرسمي أو الشعبي؛ لبيان الأسس الرئيسة لبناء مدينة الحِلَّة، وأنَّ السور كان من أهمِّ تلك الأسس.

هوامش البحث

(١) ورد في الموقع الأثري لمحافظة بابل - قضاء الحلة، بالخارطة الأثرية لها ضمن أطلس المواقع الأثرية الصادرة عن مديرية الآثار العامة في العراق، وزارة الإعلام، بأن سور مجيئية يقع خارج الحدود الإدارية لمدينة الحلة، ولم يوضَّح الأطلس سنة إنشائه ومدى صلته بسور الحلة مجال البحث، «وقد يقصد به سور سورا، وهو بالقرب من الكفل الآن». ينظر: أطلس المواقع الأثرية، الجمهورية العراقية، وزارة الإعلام، ١٩٨٢.

(٢) السلطاني، عليّ طالب عيبر عاصي، الحلة في القرن الثامن عشر - دراسة في الأحوال السياسية والإدارية والفكرية، منشورات مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، سلسلة أطاريح جامعية، ٢٠٠٩م، ص ٧٥.

(٣) الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج ٢، منشورات دار صادر، الطبعة الثامنة، بيروت، ٢٠١٠، ص ٢٩٤-٢٩٥.

(٤) بدأ ياقوت الحموي رحلاته سنة (٦١٦هـ/١٢١٨م) عند خروجه من مدينة سرو بعد غزو المغول لها، إلى مدينة الموصل ثم إلى حلب حيث وافاه أجله فيها سنة (٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، وخلال هذه الفترة زار جزيرة كيش في بحر عمان واصفًا إيَّها بأنَّها المدينة الجميلة المنظر، ذات البساتين العامرة والعمارات الحسنة وهي ميناء جيد لمراكب الهند وبلاد فارس، كما زار مدينة بغداد قائلاً عنها: «بغداد أم الدنيا وسيدة البلاد، كان أول من مَصَّرها وجعلها مدينة المنصور... شرع في عمارتها سنة ١٤٥هـ ونزلها سنة ١٤٩هـ، ثم وضع أساس المدينة مدورًا وجعل قصره في وسطها، وجعل لها أربعة أبواب وأحكم سورها وتفصيلها... قالوا: فأُنق المنصور على عمارة بغداد ثمانية عشر ألف دينار». والغريب أن ياقوتًا كان مؤرِّخًا لبغداد غير واصف لها، بالرغم من أنه عاش فيها زمنًا طويلاً، فهو لم يصف بغداد في الفترة التي عاش فيها، وإنَّما اعتمد على ما قيل في بغداد. لمزيد من التفاصيل عن رحلة ياقوت الحموي إلى بلاد الشرق ينظر: د. عليّ محسن مال الله، أدب الرحلات عند العرب في المشرق - نشأته وتطوره حتى نهاية القرن الثامن الهجري، منشورات مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٧٨، ص ١٥٧-١٦٠.

(٥) الحموي، المصدر السابق، ص ٢٩٤.

- (٦) الحموي، المصدر السابق، ص ٢٩٥.
- (٧) سورة البقرة، الآية (١٩٦).
- (٨) الكنائي، محمد بن أحمد بن جبير، رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك، تحقيق حسن نصّار، القاهرة، ١٩٥٥، ص ١٧٩.
- (٩) ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد، رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، تحقيق محمد عبد الرحيم، منشورات دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٣، ص ١٣٨.
- (١٠) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، حيدر آباد، الدكن، ١٣٥٨هـ، ج ١٠، ص ٣٥١.
- (١١) الرستاق: كلمة فارسية معرّبة، وهو السواد، والجمع (الرستاق). ينظر: الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصّحاح، دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٢، ص ٢٤٢، الأصبخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، مطابع دار القلم، القاهرة، ١٩٦١، ص ٦٠، ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن عليّ النصيبي، صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص ٢١٩.
- (١٢) المهداوي، عليّ هادي عبّاس، الحِلَّة كما وصفها السوّاح الأجنبي في العصر الحديث، دراسة تاريخية تحليلية، الحِلَّة، ٢٠٠٥، ص ٥.
- (١٣) الحليّ، يوسف كركوش، تاريخ الحِلَّة، منشورات المطبعة الحيدريّة، النجف الأشرف، ١٩٦٥، ج ١، ص ١٢٦.
- (١٤) الكرملّي، الأب فيليب، الرحلة الشرفيّة، بطرس حدّاد، مجلّة المورد، مجلّد (١)، العدد (١٤)، ١٩٨٩، ص ١٦٠.
- (١٥) الخطيب، صباح محمود، مدينة الحِلَّة الكبرى، مكتبة المنار، بغداد، ١٩٧٤، ص ١٤.
- (١٦) ابن مطهر الحليّ، عليّ بن يوسف، العدد القويّة لدفع المخاوف اليوميّة، تحقيق السيّد مهدي الرجائي، مطبعة سيّد الشهداء، قم، ١٤٠٨، ص ٢٥٩.
- (١٧) د. عبد الجبّار ناجي، الإمارة المزيديّة (٤٧٨-٥٥٨هـ/٩٩٧-١١٦٢م)، دار الطباعة الحديثة، البصرة، ١٩٧٠، ص ٩٦.
- (١٨) المصدر نفسه، ص ٩٦.
- (١٩) ياقوت الحمويّ، مصدر سابق، ص ٢٩٤.
- (٢٠) ابن جبير، مصدر سابق، ص ١٧٩.
- (٢١) الكرملّي، مصدر سابق، ص ١٦٠.

(٢٢) الكرمليّ، مصدر سابق، ص ١٦١.

(٢٣) المصدر نفسه، ص ١٦١.

(٢٤) ابن جبير، مصدر سابق، ص ١٧٩، عبد الجبّار ناجي، الإمارة المزيديّة، مصدر سابق، ص ٢٥٨.

(٢٥) المصدر نفسه، ص ٢٥٨.

(٢٦) د. عبد الجبار ناجي، دراسات في تاريخ المدن العربيّة الإسلاميّة، منشورات حركة المطبوعات

للتوزيع والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠٠١، ص ٢٠٤-٢٠٥.

(٢٧) المصدر نفسه، ص ٢٠٥.

(٢٨) الرفيعيّ، عبد الأمير، العراق بين سقوط الدولة العبّاسيّة وسقوط الدولة العثمانيّة، منشورات

الفرات، الحِلّة، د.ت، ص ٧٤-٧٥.

(٢٩) أعلنت الخلافة العبّاسيّة عن منح جوائز ماليّة ثمينة لمن يسهم في قتل رجال بني أسد الذين فرّوا

من المدينة بعد خسارتهم المعركة. ينظر: بقية أنحاء العراق، المصدر نفسه، ص ٧٥.

(٣٠) الكنانيّ، ابن جبير، المصدر السابق، ص ١٧٩.

(٣١) المصدر نفسه، ص ١٨٠.

(٣٢) عبّاس إبراهيم حمّادي، الحِلّة في ميزان الرّحالة العربيّ الأندلسيّ ابن جبير الكنانيّ وتراجم لبعض

المحلّيّين ولبعض من حلّ بالحِلّة من الأعلام، منشورات دار الصادق للنشر والتوزيع، ط ١، الحِلّة،

٢٠٠٩، ص ٣٧.

(٣٣) المصدر نفسه، ص ١٨٠.

(٣٤) المصدر نفسه، ص ٣٧.

(٣٥) المصدر نفسه، ص ٣٨.

(٣٦) من هذه الدراسات التي اهتمّت بالتطوّر العمرانيّ لمدينة الحِلّة، وأشار إلى بنائها بالطابوق الذي

جُلب من مدينة بابل الأثريّة.

(٣٧) هو الأب فيليب الكرمليّ، المصدر السابق، ص ٦٩ و ص ١٦٠، وكذلك: يوسف كركوش،

ص ٤٨، المصدر السابق ١٧٢ وما بعدها، وصلاح السعيد، الحِلّة في مذكرات الرحالة والمكتشفين،

الحِلّة، آب ٢٠٠٧.

(٣٨) الجبوريّ، عبّاس إبراهيم حمّادي، مصدر سابق، ص ٣٨.

(٣٩) يوسف كركوش، مصدر سابق، ص ١٣٤-١٣٥.

(٤٠) الجبوريّ، عبّاس إبراهيم حمّادي، مصدر سابق، ص ١٦.

(٤١) أوضح المؤلّف ذلك من خلال عرض الرحلات التي قام بها الرّحالة العرب، مثل ابن جبير

- وابن بطوطة، والتي لا تذكر شيئاً عن السور وتطوّر بنائه.
- (٤٢) وائل جبّار جودة الندويّ، طه باقر وجهوده في الآثار والتاريخ ١٩١٢-١٩٨٤، منشورات مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، ٢٠٠٧، ص ١٥.
- (٤٣) السعيد، مصدر سابق، ص ٤٨.
- (٤٤) المصدر نفسه، ص ٧١
- (٤٥) المصدر نفسه، ص ٧١
- (٤٦) المصدر نفسه، ص ٧٢
- (٤٧) المصدر نفسه، ص ٧٢
- (٤٨) المصدر نفسه، ص ٧٩.
- (٤٩) للمزيد من الاطلاع على الهجمات الوهابية التي تعرّضت لها مدن الفرات الأوسط في مطلع القرن التاسع عشر ينظر: لونكريك، ستيفن هيمسلي، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، نقله إلى العربية جعفر الخياط، ط ٦، منشورات مكتبة اليقظة العربية، ص ٣٦٢ وما بعدها.
- (٥٠) السعيد، المصدر السابق، ص ٨٤، والحقيقة هنا أنّ هجمات الصحراء هنا يقصد بها الغزوات الوهابية للعراق، أو هجمات البدو والأعراب من خارج المدينة.
- (٥١) لونكريك، مصدر سابق، ص ٢٤٢ وما بعدها.
- (٥٢) السعيد، المصدر السابق، ص ٨٦.
- (٥٣) المصدر نفسه، ص ٩٤.
- (٥٤) المصدر نفسه، ص ٩٥.
- (٥٥) المصدر نفسه، ص ٨٩.
- (٥٦) كركوش، يوسف، مصدر سابق، ص ١٢٤-١٢٥.
- (٥٧) السعيد، صلاح مهدي، مصدر سابق، ص ٨٦.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. الجمهورية العراقية، أطلس المواقع الأثرية، وزارة الإعلام، ١٩٨٢.
٢. عليّ طالب عبير عاصي، الحلة في القرن الثامن عشر، دراسة في الأحوال السياسية والإدارية والفكرية، منشورات مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، سلسلة أطاريح جامعية، ٢٠٠٩.
٣. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموري، معجم البلدان، ج ٢، منشورات دار صادر، ط ٨، بيروت، ٢٠١٠.
٤. محمد بن أحمد بن جبير الكناني، رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك، تحقيق حسن نصّار، القاهرة، ١٩٥٥.
٥. محمد بن عبد الله بن محمد ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، تحقيق محمد بن عبد الرحيم، منشورات دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٣.
٦. أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن عليّ بن محمد ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، حيدر آباد، ج ١٠، الدكن، ١٣٥٨ هـ.
٧. محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، مختار الصّحاح، منشورات دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٢.
٨. أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الأصبخري، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال، مطابع دار القلم، القاهرة، ١٩٦١.
٩. أبو القاسم محمد بن عليّ النصيبيّ ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
١٠. عليّ هادي عبّاس المهداوي، الحلة كما وصفها السوّاح الأجنبيّ في العصر الحديث، دراسة تاريخية تحليلية، الحلة، ٢٠٠٥.
١١. يوسف كركوش، تاريخ الحلة، منشورات المطبعة الحيدرية، ج ١، النجف الأشرف، ١٩٦٥.
١٢. الأب فيليب الكرملي، الرحلة الشرقية، ترجم بطرس حدّاد، مجلة المورد، مج ١، ع ١٤٦، ١٩٨٩.

١٣. صباح محمود الخطيب، مدينة الحِلَّة الكبرى، مكتبة المنار، بغداد، ١٩٧٤.
١٤. عليّ بن يوسف ابن مطهر الحِلِّي، العدد القويّة لدفع المخاوف اليوميّة، تحقيق السيّد مهدي الرجائيّ، مطبعة سيّد الشهداء، قم، ١٤٠٨هـ.
١٥. عبد الجبّار ناجي، الإمارة المزيديّة (٤٧٨-٥٥٨هـ/٩٩٧-١١٦٢م)، دار الطباعة الحديثة، البصرة، ١٩٧٠.
١٦. عبد الجبّار ناجي، دراسات في تاريخ المدن العربيّة الإسلاميّة، منشورات حركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط١، بيروت، ٢٠٠١.
١٧. عبد الأمير الرفيعي، العراق بين سقوط الدولة العبّاسيّة وسقوط الدولة العثمانيّة، منشورات الفرات، الحِلَّة، د.ت.
١٨. عبّاس إبراهيم حمّادي، الحِلَّة في ميزان الرّحالة العربيّ الأندلسيّ ابن جبير الكنانيّ وتراجم لبعض الحليّين ولبعض من حلّ بالحِلَّة من الأعلام، منشورات دار الصادق للنشر والتوزيع، ط١، الحِلَّة، ٢٠٠٩.
١٩. وائل جبّار جودة الندويّ، طه باقر وجهوده في الآثار والتاريخ، ١١٢-١٩٨٤، منشورات مركز بابل للدراسات الحضاريّة والتاريخيّة، ٢٠٠٧.
٢٠. ستيفن هيمسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، نقله إلى العربيّة جعفر الخياط، ط٦، منشورات مكتبة اليقظة العربيّة، بغداد، د.ت.
٢١. صلاح السعيد، الحِلَّة في مذكّرات الرّحالة والمستكشفين، الحِلَّة، ٢٠٠٧.